يسمح بالتغيير من داخل النظام وبواسطة اجهزته . وكما يقول هارولد لاسكي ، فان الدولة الديمقراطية التي تفقد تكنيك التغيير من داخلها فانها تحكم على نظامها بالموت حين لا تبقى لغير القوة والسلاح طريقا لاحداث التغيير المطلوب .

وبسبب ظروف مختلفة اتجهت الدولة الى الاعتناء بمناطق دون اخرى ، حتى تحولت مناطق بكاملها ، كالجنوب والهرمل وعكار الى مناطق محرومين .

وفي السنوات الاخيرة ، ازدادت الهجرة الى المدن حتى نما ما سماه المعلقون الاجانب « حزام البؤس » حول بيروت وهو حوالي ستماية الف من البؤساء الذين يعيشون في « مدن تنكية » بتعبير ادبيات حراس الارزة ، ولا يملكون من الاشعاع اللبناني سوى التلمظ بمشاهدة الانوار الحمراء وفترياتها .

وبسبب التوافق بين بؤس المناطق المحرومة وعذاب الحزام « التنكي » حول بيروت وبين انتماء هؤلاء الى طائفة معينة بالذات احس الكثيرون بان الامتيازات الطبقية هي نتيجة للامتيازات الطائفية ، حتى اصبح الشعور الطبقي ملازما للشعور الطائفي في احيان كثيرة . وفي الوقت نفسه ، فان « عقدة الاقلية » استمرت تنخر في جسم الطرف الاخر وتزداد حساسية وانفعالا .

وهكذا انتهت الصيغة اللبنانية سنة ١٩٧٥ الى ما يشبه « الانقسام العمودي » وتحول المجتمع الى هم ، اي اهل النظام واكلة الجبنة ، ونحن ، اي المسحوقين والفقراء .

ولعل اسوأ ما تتجلى فيه فظاعة صيغة ١٩٤٣ هو طبقة السياسيين اللبنانيين خاصة الاحزاب اليمينية التي تنتمي في الواقع الى عصر مضى . فاين هو الزعيم الذي يقول : اتركوا الاغنياء فلهم الله ... بالمفهوم الاوربي الحديث ، لو ان سياسيا اوروبيا ظهر على التلفزيون ودافع عن الاغنياء بهذا المنطق ، لانتهت حياته السياسية على الفور . واين موقع الزعيم الذي يتحرك بمنطق مختار الضيعة فيبيع الكلام والمواقف بما يناسب المقام ، فهو مع قومه اشد ما يكون تعصبا ولبنانية وهو مع زواره الفلسطينيين اشد ما يكون عروبة وفلسطينية حتى تحسبه من اتباع القسام ؟

وتعبير اليسار الدولي الذي ورد على لسان بعض الزعماء هو تعبير قد انقرض ، بانتهاء الحرب الباردة وانقسام الكتلة الشيوعية لعدة محاور : موسكو ، بكين ، بلغراد ، صوفيا وانتهى استخدامه بوفاة دالاس . وتكراره يدعو الى السخرية والشفقة معا .

فالاحزاب التي تدعي تمثيل اعرض القطاعات المارونية لا تقدم شيئا جديدا يتجاوز صيغة ١٩٤٣ ، بل هي تريد ان تقف الدنيا عندها . وزعاماتها لا تجد غير الخوف والتخويف ايدلوجية تدعم بها مواقفها واستمرارها وتحويل النظام الى ساتر لكل امتيازاتها وفظاعاتها .

وفي الجانب الاخر ، ورغم الامراض التقليدية التي يتعرض لها اليسار العربي من الفرقة والانقسام ، نشأت الحركات التقدمية الجديدة ، التي تتكلم لغة العصر وتفهم بنطقه وتعاني عذاب المحرومين وتقدم ايديولوجية الفقر الغاضب والبؤس المتمرد . وليس غريبا ان تجد في الحركة التقدمية اللبنانية اكثر الشباب اللبناني ، ومن جميع طوائفه ، وعيا وثقافة ونشاطا . ولا يمكن الا التسليم بان العناصر الديناميكية في اليسار اللبناني قد استطاعت ان تحوز ثقة الفئات المحرومة وان تحرك هذه الفئات بقيادتها . وهل ابقى اهل النظام القديم بابا اخر امام الشباب الجديد وضرورات التغيير وطموحات اجيال الفقر ؟!